مع بيفن

•

كان خطاب المستر بيفن في مجلس العموم البريطاني [كانون الثاني] صريحاً صراحة تخطى بها حدود السياسة الانكليزية المبنية على الالتواء والمداورة والبعد، قدر الامكان ،عن الاستقامة في التعبير. وأحسب ان الضرورات الحاضرة التي بدأت تضغط على بريطانيا في الشرق والغرب اخرجت بيفن وأخرجت السياسة الانكليزية كلها عن حدودها المرسومة في تكليف حلفائها ان يقرأوا المحور ، وان يعرفوا من سلوكها الملتوي ما تعودته من فعل شيء وارادة ضده .

فكانت بعد هذا الضغط الشديد مضطرة ان تصارح برسم خطة واضحة لحفظ مصالحها، والعض على تراثها البشري في معركة التنازع الحاضرة وهي من اكبر المعارك التاريخية ان لم تكن اكبرها على الاطلاق .

ومن هنا رأينا السيد بيفن يقف في مجلس العموم فيبسط سياسة

بريطانيا الحاضرة دون محاولة للتذبذب او الروغان إلا في نقـــاط حاول ان يدسها في غضون هذا الاسلوب الصريح ليوهم ان الصراحة امتدت الى هذا ايضاً كأيهامه ان بريطانيا لا تنوي استغلال موارد الشرق وامتصاص دمائه .

ومهما يكن فلم يزدنا خطابه هذا علماً بسياسة بريطانيا الحاضرة. وقد اوضحنا غير مرة ان روسيا تشغل بالها وتقض مضجعها ، وانها تنوي من اجل التخلص من هذا العدو القوي ان تنشيء حطـــين أحدهما في الغرب وهو الذي سمته بالكتلة الغربيـة واوكلت امر انشائه الى مارشال بمواد مشروعه الخطير ، وهذا الخط هو الرصيد الذي ينهض بمقابلة الكتلة الشرقية الاوروبية التي تقع في منطقـة النشاط الروسي .

اما الخط الثاني فهو الخط الشرقي ،وهو المؤلف من دول الجامعة العربية ودول ميثاق سعد آباد ، وقد تعهدت هي بأمر بنائه وراحت منذ امد غير قصير تحتـــال على اخضاعه غير انها لقيت فيه حتى الآن الألاقي .

هذه خلاصة الخطة السياسية التي ينحصر في تكوينها الجهـــد البريطاني الآن . وذلك ما دار عليه خطاب بيفن هـــذا ليبرر به المعاهدة العراقية وامثالها من المعاهدات التي عقدت وستعقد في هذا الشرق من أجل سلامة (المصالح البريطانية) .

وما كنا في حاجة الى هذه المعلومات فنحن نعرفها حين عارضنا المعاهدة ، ولكنا نريد ان يعرف بيفن بدوره ان مصالح بريطانيا لا تهمنا نحن اذا كانت منفصلة عن مصالحنا — وهي منفصلة بهـــذه

المعاهدة – وأي أمر يتصل بنا من امور النزاع البريطاني الروسي ، وانه لمن الحسن ان يفهم الانكليز بعد تضحياتنا الكثيرة في سبيلهم اننا لسنا من جنود امبراطوريتهم ، وان الحال بالقيـــاس الينا لا تتفاوت سواء أغلبوا هم الروس ام كانوا هم المغلوبين.

اما اذا ارادوا ان نكون حلفاءهم حقاً فعليهم ان ينزلوا على شروطنا ، وعليهم ان يوقعوا على المعاهدة التي نصوغها نحن لا هم ، لان الامر يتصل بمصالحهم في بلادنا ولا مصلحة لنا في بلادهم مطلقاً حتى ما يتصل بالميكانيك والفنون ، فالموجود عند غيرهم منها تمتـد اليه ايدينا ولنا الفضل.

بقي امر آخر نحب ان يعرفه المستر بيفن ، وهو اننا على يقين ان بريطانيا لن تستطيع ان تغزونا بالسلاح والقوة لا لاننا نكافئها في هذا الميزان ، بل لانها حين تجهز جيوشها لاخضاعنا يلزمها ان تجهز مثل هذه الجيوش الى غير العراق من بلدان هذا الشرق التي تدرك نفس ما ندرك ، وذلك مـــا لا تستطيعه بريطانيا لحسن حظنـــا وسوء حظها .

وحتى لو قدرت على فعله لا تقدم عليه لانه يكلفها من الخسارة اكثر مما تأمل من الربح ، ويفوت عليها الحصانة التي تطلبها امتناعاً على الروس .

وهناك أمر آخر وهو شأن شرقنا في دفتر اقتصادياتها ، فانه يدعم جانباً من جوانب هذا الدفتر الذي لا تستقيم حياتها بدونه ، فاذا كنا غضاباً وكنا مضطرين الى احـداث القلاقل يفوت عليها ربح هذا الجانب الحيوي ولا سيما في مثل وضعها الحاضر .

واخيراً فخوفها من الروس وحده وبأسقاط كل هذه الاعتبارات يرغمها على ارضائنا ارغاماً لا مفر لها عنه . وانها لمغالطة لا نرضاها لذكاء بيفن أن يوهمنا أن خوفه ينهض عذراً لاستعمارنا .

أفمن المنطق أن يخاف هو ، ونستعمر نحن..؟وما شأننا بخوفه ؟ آمن الله أصحاب الضمائر ..!؟

لقد خطب فكان صريحاً واننا سمعنا وأعدنا اليه رجع خطابه بصراحة أيضاً ، فاذا كان حريصاً على حلفنا فلا مانع .ولكن يجب ان نرضى . ويجب أن نضع نحن نصوص هذا الحلف وضعاً يضمن لنا الحرية والسيادة في بلادنا ويكفل المنفعـــة المتبادلة دون ان يكون لبريطانيا أدنى رجحان .